الذي يقول :

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وهذا غاية الجلال والوفاء عند اهل الوفاء ، فقد عاشر هذه الشيخوخة حتى الفها ، فهو لا يستطيع فراقها بعد هذه الالفة والصحبة ؛ ولو ارغم على تركها والعودة الى الشباب ؛ لفارقها باكيا متألما آسفاً !

وعاش آخرون عمراً مديداً ثم تمنوا الموت ، لا كرهاً للمشيب بل زهداً في الحياة بعد هذا العمر الطويل الذي تنعموا فيه ، وشاهدوا افراحه واتراحه ؛ فزهدوا في كل شيء ؛ حتى الحياة.

ومن هؤلا لبيد ، فقدعاش حوالي ١٤٥ سنة ، ورأى الجاهلية والاسلام وضجر من طول اجله ؛ فقال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

واظهر السأم مرة أخرى فقال :

من حياة قد مللنا طولها وجدير طول عيش ان يمل

وكان يرغب في النهاية العاجلة ؛ وماذا في طول العمر غير الضعف والعجز ؟

وسؤال الناس كيف لبيد الذي عاصر الزمان والناس قرناً ونصف ؟ وماذا يستطيع هذا الرجل العاجز ان يفعل غير الحديث عن القرون التي مضت ، واخبار الناس الذين رآهم وعاصرهم فقال :

أليس ورائي ان تراخت منيتي ركوب العصا تحني عليها الاصابع

أحدث اخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكع

ومثل هذا السأم الذي نشاهده عند لبيد . ولمثل هذه الاسباب أيضا ، كان زهير يكره الحياة ؛ ويطلب انقضاء اجله ، حتى يستريح من طول البقاء ؛ وقد عبر عن ذلك بقوله :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

ولكن اجله طال ، وطال كثيراً حتى جاوز القرن .

فقال مرة اخرى يظهر ضجره وضيقه بالحياة :

ألم تزني عمرت تسعين حجة وعشراً تباعا عشتها وثمانيا

ثم استجاب الله دعاءه !

بقي علينا ان نقول ، بان هذه الظاهرة ؛ من حب الشباب وكره الشيخوخة ، موجودة عند كافة الناس ، والانسان بطبعه حريص على البقاء وطلب الفائدة ؛ ولكن حبنا للشباب ورغبتنا فيه ، يجب ان لا تجعلنا نبخس حق الشيخوخة ونجهل قدرها ، فيها حكمة التجارب ؛ وجلال الماضي ؛ وموعظة التاريخ .

ميلاد احمد فيه مولد يعرب

افق الجزيرة باسم متألق يبدو عليه للصباهج رونق

سحب الظلام تقشعت مهزومة مذ بان في الأفق الوليد المشرق

ارض الجزيرة وهي جد جديدة فيه استحالت وهي روض مونق

كانت شتاتاً قبل مولد احمد فيها يدب تخاصم وتفرق

حتى ترفق ذا الزمان بيعرب ولقد عهدنا الدهر لا يترفق

***

وافى الوليد لكي يعيد بناءها ولما ترجى في الحياة يحقق

الفت بطه منقذاً مما بها من فيه يلئم جرحها المتعمق

او كيف لا تزهو وقد وافى الذي فيه يؤلف شملها المتفرق

لم لا يفيض البشر من جنباتها وتعود تهتف بهجة وتصفق

لاغروان طفح السرور بوجهها او باتت الاكباد منها تخفق

او ليس في ميلاد احمد مفخر لجميع من بالضاد امسي ينطق

ميلاد احمد فيه مولد يعرب وبه ابتدا تاريخها المتألق

وعلى هداه العرب امست امة بين الشعوب لها المقام الاسمق

لقد ابتنى الهادي لها امجادها فازدان منها بالفخار المفرق

وبنوره قد ابصرت سبل الهدى عن افقها انبلج الظلام المغسق

مذ شرع الاسلام دين فضيلة ما فيه إلا رحمة وترفق

دين على العدل السوي مشيد خلدت مبادؤه فليست تخلق

حفلت لنا ذكرى ولادة احمد مسكاً بآفاق البسيطة يعبق

فيها نطالع سفر امجاد حوى عرفا له آنافنا تتشوق

تاريخنا الزاكي بها متمثل ما ضم إلا مفخراً يتألق

***

فعلام لم نقبس من الذكرى هدى منها يضيء لنا الطريق ويشرق

زغنا عن النهج الذي قد سنه ما ان تمسكنا به لا نخفق

مشت الشعوب الى الامام قوافلا فمتى بهاتيك القوافل نلحق

فيعود غصن الأمنيات ليعرب من بعدما قد جف فيها يورق

كي نستعيد مكانها بين الالى طافوا بآفاق الفخار وحلقوا

***

يا صاحب الميلاد هل من نفحة قدسية فينا شذاها يعبق

اعد الحياة ليعرب وابعث بها روحا تفوق به الشعوب وتسبق

عبد النبي الشريفي